



صوت الجنوب/25-12-2008

والعالم

المهندس علي نعمان المصفري

الأحداث التي شهدتها خليج عدن خلال الأسابيع القليلة الماضية بينت بوضوح مدى تدهور الأوضاع الأمنية في المنطقة وعدم امتلاك البلدان المشرفة على خليج عدن وخصوصا اليمن، على إياه آليات يمكن أن تتحكم في الأوضاع برمتها جراً للخلل الواضح في الأمن القومي لتلك البلدان وعدم أهليتها على وضع قبضتها على الأمور الأمنية التي يمكن أن توفر الحماية للملاحة الدولية، وهو الوضع الذي أدى إلى دفع مجلس الأمن الدولي لإصدار قرار بتكليف دول عظمى لاستقدام السفن العسكرية لأساطيلها، لتأمين سير المناقلات في منطقة خليج عدن، بعدما صار الأمر يتحكم فيه القراصنة، كنتاج لصور الأوضاع المتفجرة في الصومال الشقيق والتمادي المستمر على خطف ناقلات عملاقه في ظروف تنبئ بخطورة، لم تشهدها المنطقة في تاريخها الحديث مما يجعل المتتبعين للشأن ذاته تفسير ذهاب العامل الأمني إلى حد التدهور المطلق وخروج الأوضاع الأمنية عن السيطرة، مما يبيح لقوى الإرهاب الدولية على إحداث مزيداً من الأضرار في اقتصاديات البلدان المطلة على خليج عدن والبحر الأحمر والبحر العربي، وخصوصاً وأن المنطقة تحتوي أكبر احتياطات الطاقة في العالم، مما يعني أن اقتصاديات تلك البلدان والعالم برمته سيشهد مزيداً من التصدع أضافه إلى أداومه العالمية التي عصفت ولا زالت تسحب نفسها بمزيد من المتفاقم، رغم إدراكنا من صعوبة تجاوزها ولو في المدى المنظور كما أكدت التقارير الدولية بهذا الخصوص.

فالنظام اليمني الهش، أصبح بمثابة ملجأ للعديد من الأزمات الأمنية والاقتصادية التي تولدت أساساً من خلال سياساته الأمنية والاقتصادية خلال السنوات المنصرمة، والتي أدت ليس فقط إلى ضعفه وعدم امتلاكه لأدوات واليات السيطرة الأمنية، بل لأنه أساساً من عمل على افتعالها بحكم تشجيعه على العناصر المتنفذه التي نخرت فيه لحد أنها من خلال الفساد الذي احكم تماماً على مفاصل نظام الحكم قد وفر بيئة مناسبة لتفريخها واستحوادها على الوضع الأمني وبالتالي خرجت في كثير من الأحيان عن سيطرة القوى النافذة في النظام الأمني اليمني ذاته.

هذه الأوضاع في مجملها صنعت للإرهاب ليس فحسب اليمن ملجأ آمن، بل منحت الإرهابيين إمكانيات المتحرك بسهولة في طول وعرض البلاد وشجعتهم بالعمل سويه مع بعض متنفذي النظام اليمني على تفعيل نشاط تجاره السلاح إلى اليمن ومنه إلى البلدان المجاورة، حيث أكد تقرير مجموعه مراقبه حضر الأسلحة على المصومال من إن معظم الأسلحة المستوردة تأتي من أسواق لتجاره الأسلحة في اليمن وتصدر عبر خليج عدن، وكذا تطورت تجاره المخدرات ومؤخرا تجاره الأطفال، وصل تعدادهم في المعام الماضي إلى خمسين ألف طفل، والذين تم تهريبهم إلى الجارة السعودية لوجودها فقط، وهو ما أكدته مجلس الأمن الدولي يوم الجمعة الفائت على تشابك تجاره الأسلحة والتهريب والمقرصنة في خليج عدن.

إن سياسات نظام صنعاء في حروبه الخمسة في صعدته وخروجه منها مهزوما، إضافة إلى السياسات التي اتبعتها في الجنوب منذ 7 يوليو 1994، وألزامه أداقتصاديه والسياسية، التي أحدثتها تلك السياسات وتفشي ظواهر البطالة والفقر والفساد المالي والإداري والقضائي والأخلاقي لعدم وجود دوله أساسا، وغياب النظام والقانون وسيادة قانون الغاب، هذه السياسات وفرت البيئة المناسبة لنشاط مذابح الإرهاب، الذي أدى إلى التصدع الأمني، الذي أصلا لا يزال محل نزاع واضح مع الدول الإقليمية والقوى العظمى وخصوصا ما مثلته الأحداث، التي شهدتها اليمن منذ عام 1994 و تعاقب عمليات اختطافات السائحين الأجانب كظاهرة معتادة لحصول المناطق والمقابر على استحقاقاتها من النظام اليمني، والتي ليس آخرها السواح الألمان في الأسبوع الماضي، وأعمال التفجيرات في مواقع مختلفة من اليمن، وكذا تفجير المدمرة الأمريكية كول في ميناء عدن عام 2000م، وقتل 17 من المارينز، وتفجير ناقله النفط الفرنسية لامبرج أمام سواحل حضرموت في عام 2001 وسلسله التفجيرات التي شهدتها اليمن سواء في السفارات الأجنبية في صنعاء أو بعض المنشآت الاقتصادية، إلما خير شواهد على تورط عناصر متنفذه من النظام اليمني، وهو ما دلل بالملموس من خلال القرائن والبراهين التي دللتها عمليات الهروب الجماعية من سجون الأمن السياسي وبطرق مشينه، وصلت حد التفرز بمبررات واهية على ما حدث، خصوصا في قيام 21 متهما بحفر نفق الهروب تحت أقبية الأمن السياسي في صنعاء بالملاحق والسكاكين ولمسافة 17 متر، حسب ما أوردته ادعاءات النظام ذاته، وما سبقه من هروب جماعي لمفجري كول، وهي في تقدير المراقبين دليل على المعجز المهيمن والمشين على مبررات لم يكن بمقدور الإنسان تصديقها، افتقدت المصدقية في نظر العالم وأصبحت الاتهامات تشير بالأصابع إلى النظام اليمني، واعتبرت كثير من التقارير لخبراء دوليين كتقرير البروفسور روبرت برويز والمصاحفية الأمريكية جين توفالك،

ليس على سبيل المحصر، على أن بعض متنفذي نظام صنعاء كانت وراء تلك الأحداث دون غيرها.

والأغرب من ذلك، إن رئيس النظام ذاته، ظل يتباهى باستخدامه للإرهابيين كأوراق حين الحاجة إليهم، ذلك كما أوضحها في ظهوره الإعلامي أمام القنوات التلفزيونية العربية والجنبية في أكثر من مناسبة، وتحديدًا أثناء الانتخابات الرئاسية والمحلية الأخيرة في عام 2006 وتهديده أمام اجتماع المانحين في لندن، أن العشرين مليون يمني حسب أفادته، يمثلون قنابل موقوتة، في حاله عدم موافقتهم على منحه المنح والقروض من تلك البلدان، التي في أساسها ستوظف لأغراض حمايته ونظامه، وستشكل في حاله منحها مصادر لبؤر فساد جديدة ليس إلا، دونما استغلالها لأغراض التنمية، كسابقاتها من القروض والمنح، والتي عملت على تزييت طاحونة الفساد ليس إلا.

إن استفحال نفوذ المافيا اليمنية وإحكامها على مجمل مفاصل دوائر الفساد قد أعطاهما الإمكانات اللازمة لتشجيع قوى الإرهاب وخصوصًا بقايا مخلفات العناصر الجهادية من المناطق التي تقع شمال اليمن وتحديدًا ذات الارتباط المباشر ببعض الدوائر النافذة في النظام، واعتمادها على الدعم الروحي الذي يتبناه الشيخ عبد المجيد الزنداني (الأب الروحي لعناصر الجهاد في أفغانستان إثناء الحرب ضد السوفيت ولمده أزيد من عشرين عامًا)، والذي يحظى بعناية خاصة من قبل النظام مباشرة، والذي دلل عليه بمرافقته للرئيس اليمني إلى جده جهارًا إثناء انعقاد مؤتمر القمة الإسلامية في عام 2006، رغم صدور قرار من قبل مجلس الأمن الدولي لاعتقاله ووجوب تسليمه من قبل السلطات اليمنية لتقديمه إلى المحاكمة، لتهمة وجهت إليه تتعلق بالإرهاب.

علما أنه يرأس جامعة الأيمان في صنعاء التي تمثل حاضنه ومعمل رئيس لإنتاج وتفريخ دعاة للتطرف في العالم على مرأى ومسمع الكل، بل وبدعم مباشر من صنعاء، وذلك حسب تأكيدات المراقبين المحليين والدوليين.

أما عناصر ما كانت تسمى بالجهاد في الجنوب باتت تستجيب للشارع في الجنوب وعلى نحو من التشدد لمواجهة النظام اليمني، بما يمكن الجنوب من استقلاله، وبنت موقفها هذا لخبرتها في التعاطي مع قياداتها السابقة في الشمال، وما عانتها من تعاملات في فترة ما بعد حرب 1994 وإدراكها على أنها كانت ضحية قياداتها اليمنية، واستقرت عند قناعاتها المستجدة، أن الجنوب وطنها الحقيقي وليس كما ذهبت إليه في معتقداتها الأملائية السابقة.

التحدي الساخر هذا شجع المافيا اليمنية على تطوير أدائها والمقايام بالتنسيق مع مافيا الدول المطللة على البحر الأحمر وخليج عدن وخصوصًا أكثر مرونة مع المافيا

المصومالية، التي بحسب التقارير الدولية وشواهد عيون محليه من إن تدريبها وتمويلها يتم بأشراف بعض العناصر المتنفذه في اليمن، والتي تتقاسم معها غنائم القرصنة في محيط خليج عدن، الأمر الذي كشف عنه تقرير المعهد البريطاني للشؤون الخارجية الذي صدر مؤخراً، بأن المنطقة أصبحت مهددة من كينيا وحتى السعودية، وعلى إن أستمرا ريه الأوضاع على النحو القائم ستدخل اليمن قائمه الدول الفاشلة في غضون أربع سنوات من تاريخه.

تلك العناصر الأرهابية أصبحت تمثل عامل تهديد لاقتصاديات الدول الاقليمية والعالم وأمنها واستقرارها، وتهدد مباشرة خطوط النقل الدولية، وأدى ذلك إلى ارتفاع خيالي لتكاليف التأمين والشحن، وتضررت بذلك الشعوب المعنية بالأمر، وهذا ما أظهرته الاجتماعات الاخيرة المنعقدة في القاهرة، بتقصير نظام صنعاء عن أداءه الأمني لتدهورا لأوضاع المتزايدة في المنطقة.

ولمعرفة المتتبع بالأوضاع السياسية في المنطقة، فأن المساعي التي أبدتها النظام اليمني في فترة من الفترات خصوصا قبل عامين، إنشاء احتدام الصراع المسلح و في حين أحكام المحاكم الإسلامية قبضتها على أوضاع معظم مناطق الصومال، أظهر النظام اليمني ذاته بمقام ألام تربسا، حاملا غصن الزيتون إلى الفرقاء المتحاربين في الصومال، لمحاوله رأب الصدع بين الفصائل الصومالية المتناحرة، واحتضانه في عدن لتلك الاجتماعات. المافيا اليمنية أضافت إلى خبرتها السابقة، طرائق لتمتين علاقات ممتازة مع الميليشيات الصومالية وفي الجانب الآخر مثلت المصالح، أجماع مشترك للمافيا اليمنية والصومالية معا، وعلى هذا النحو جرت العلاقات وتطورت بما عزز من أيجاد توصيف مشترك للمصالح، وعلى تلك القوا سم المشتركة نشأت المخطط المبرمجة والمديرة على أعلى مستوى من التنفيذ، لوجيستيا وفنيا، ارتقى بالإعمال ألقراصانية إلى المستوى الذي نشاهده اليوم على الأرض وبدقه متناهية، وهو الأمر الذي ذهب إلى تأكيده أركان خفر السواحل اليمنية حسب صحيفة الأيام العدنية، ودللت على لسان مالك الباخرة اليمنية التي كانت متجهة إلى جزيرة سقطره، على إن الخاطفين كانوا على ظهرها منذو إبحارها من ميناء المكلا، وتم إطلاقها تحت ظروف معروفه للجميع مع الإبقاء على شروط إطلاق البواخر الاجنبية من خلال الفدية التي بلغت حد مبالغ فيه.

إلى ذلك تكشف لعبة النظام اليمني، خصوصا وأنه كان يرقص على قدمي التتويه مع العالم الخارجي، تارة على أنه حامي حماها ولولاه لما كان بالما مكان السيطرة على تلك القوى الارهابية وترويضها وبذلك حصل على العديد من المنح والمساعدات وتدريب العديد من أفراد في خفر السواحل في بعض تلك البلدان، تعشما لوأد الإرهاب بتجفيف

مذابحه، وفي الطرف الآخر يوهم القوى الدارهابية من انه المظلة لحمايتهم من شر الدول الداجنبية عن ملاحقتهم وخصوصا الولايات المتحدة.

وتأسيسا على ما ورد، يذهب المحللون للشأن اليمني، إلى تفسير الموضع المتفجر في المنطقة، وخصوصا اليمن والجنوب، أضافه إلى خليج عدن، وتواجد حتى الآن 8 فرقاطات عملاقة وإعلان الصين أيضا إرسال مدمرتين إلى قبالة سواحل الصومال وسبققتها العديد من الدول، وكأن المنطقة تشهد حاله حرب حقيقية لم تجري وقائعها في تاريخ المنطقة الحديث من قبل، وأعطى الموضع هذا لتلك البلدان مبررات لتواجدها في المنطقة، ويحاول النظام اليمني استغلال الأوضاع هذه، لإفراغ مضمون المازمة المركبة لصالحه للخروج منها، وتحديدًا، في ظل تطور وسرعة عجله أحداث الثورة السلمية في الجنوب، وقرار شعب الجنوب بالاستقلال بإجماع شعبي منقطع النظير.

هذه المازمة المركبة جعلت نظام صنعاء يخسر يوميا مبررات وعوامل بقائه وتآكله من داخله، على نحو لم يعاني منه في تاريخه في بحر ثلاثة عقود من عمره، وبما يفصح على إن زواله أصبح ليس فقط ملازما على الدول العظمى بل ضرورة حتمية تقتضيها مصلحه شعوب المنطقة والعالم وسبيل لنزع فتيل التوتر عن المنطقة وخلود شعب اليمن والشعوب المحيطة، وخصوصا شعب الجنوب، الذي عانى ولما زال يعاني ويلات منذ 7 يوليو 1994، وبما يمكنه من تحقيق استقلاله واستعادة دولته في ظل الموضع القائم، الذي أنجب ولادة المجلس الأعلى لقيادته مسيرته التحرير واستعادة دوله الجنوب، باعتباره الإجماع الشعبي الجنوبي وحامل مصالحه الوطنية المحصين.

إن استعادة دولة الجنوب بفك الارتباط سلميا من نظام الجمهورية العربية اليمنية كما أجمع شعب الجنوب عليه، ستمثل مفتاح حل ألامه في اليمن برمتها، بل عامل استقرار مهم في المنطقة والعالم، وتكاملها وتكافلها مع دول مجلس التعاون الخليجي لتقارب العقليات وتزاوجها عبر التاريخ ولما مثلته عدن حاضره الجنوب كإشعاع ثقافي وحضاري في المنطقة والعالم قبل يمنه الجنوب في 30 نوفمبر 1967، وأبناء الخليج يعون ويدركون حقيقة ذلك، ويعد هذا الموروث دين مستحق على شعوب المنطقة لمؤازره الجنوب للنهوض لاستعادة دوره الحضاري كما كان. ويفسح المجال واسعا أمام العقلية الجنوبية المتفتحة، لتأخذ امتدادها الطبيعي في التطور البشري بمعزل عن عقليات التخلف القائمة في اليمن كعوائق في طريق التطور الحضاري، فالعقلية القبيلية العسكرية الأمامية المتخلفة هذه، قيدت حركه التاريخ الجنوبية عن اخذ المساحة الممكنة لها في سياق عملية التطور الإنساني، التي يشهدها العالم اليوم، دون مشاركه الجنوب فيها كما كان، عامل فعال ومؤثر، كما تتحدث عن شعب الجنوب، شعوب

المعمورة ودوره في مشارق الأرض ومغاربها.
ويشير أجماع الرأي عامة على أن دولة الجنوب ظلت على الدوام عامل استقرار للمنطقة،
واستطاعت قوى بحريتها المتواضعة تأمين منطقه خليج عدن طوال الفترات السابقة
دون حادثة أمنية تذكر .
والله من وراء المقصد.
* كاتب وباحث أكاديمي .